



الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

الحمد لله
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى
- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ -



ضمن دروس معهد الميراث النبوي
- تفرغ فريق صيانه السلفي -

الدرس السادس عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلَامُ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث السابع عشر من الأربعين النووية ، وهو ما رواه أبو يعلى شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلِإِذَا أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ ، وَلِإِذَا ذَبَحْتَهُ) (1)

هذا الحديث من الأحاديث الدالة على كمال الشريعة الإسلامية وأنها من عند الله -عز وجل- ، فالله -عز وجل- (كَتَبَ الْإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ)

- ومعنى كُتِبَ : أي شرعه وأمر به ، وهذا الأمر قد يكون للوجوب : كالإحسان إلى الوالدين ، وإلى الضيف على القدر المأمور به ، وقد يكون هذا الأمر للاستحباب : كصدقة التطوع ونحو ذلك .

فَإِذَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- (كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)

- **والإحسان** : يعني الإتيان بالأمر كما شرعه الله وكما أمر به ، أمر إيجاب أو أمر استحباب ، وترك المنهي عنه سواء كان طلب تركه طلبًا جازمًا أو طلبًا غير جازم ؛ فالإحسان كما يقول ابن رجب -رحمه الله تعالى- : (**إحسان كل شيء إحسانه**) ، كل شيء بحسبه ، يعني كما مر معنا من الامور الواجبة أو المستحبة في فعلها ، من الامور المحرمة أو المكروهة في تركها .

وقد مثل النبي -صلى الله عليه وسلم- بالإحسان في مسألة من المسائل التي جاء الاسلام بالإحسان فيها ، وذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم- : (**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**) ، (**الْقِتْلَةُ**) : أي هيئة القتل ، فإذا كان الانسان عليه قصاص فإن الواجب على السيِّف الذي يقيم الحد عليه بأمر السلطان أو نوابه من القضاة أو نحوهم ، فالواجب أن يتخذ سيفًا حاد ، ويعدّه ليكون سريع القطع ، وأن يضربه في المكان المخصص ، بحيث أنه يضربه مرة واحدة فيقيم عليه الحد .

وكذا الدواب ، إن كانت بعض مثلًا الدواب يؤذي فلك أن تقتله بما يجزي قروحه بطريقة سهلة ، لا أن تحرقه بالنار ، ولا تحبسه فيموت ، ولا أن ترمي عليه صخرة ؛ فإن هذا ليس من الإحسان في شيء .

فإذا هذا قتل الإنسان أو قتل الدواب ، ثم ذكر أيضًا الإحسان في الذبح ، وذلك يحصل بأمور ، من أهمها :

أن تكون الشفرة أي السكينة و نحوها ممًا يقطع أن تكون حادة ، بحيث تقطع الأوداج والبلعوم والمرء سريعًا ، فلو كانت السكين أو الآلة غير حادة فإنه يعدّب الحيوان بكثرة تمرير هذه الآلة على رقبتة ؛ فلذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (**وَلْيُحَدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ**) أي السكين ونحوها .

(وَلْيُرَخَّ ذَبِيحَتَهُ) ، يعني يجعلها ترتاح بحيث يحضرها في المكان المخصص للذبح ، لا يجبرها بقسوة أو يضربها حين يأتي بها الى المكان المخصص ، ولا يذبجها أمام الحيوانات الأخرى ، فإن هذه الحيوانات وإن لم تكن تعقل إلا أنها مخلوقة ، تشعر وتضطرب و تتأثر بما ترى ، فلا شك أنها إن رأت أخواتها يندبحون أمامها أنها تموت عدة موتات قبل أن تموت .

لذلك من الخطأ الكبير أن يذبج الشاة أمام الشاة ، ومن الخطأ الكبير أن تكون السكين أو الآلة غير حادة ، وأيضاً من الخطأ أيضاً أن يكون الذابح غير متعلّم ، فيظل يجرحها ويقطعها ويشق رقبتها في عدة مواطن ، فهذا كله من التعذيب ، هي ستموت بالذبح ، ولكن من الإحسان الذي أمر الله - عز وجل - به الإحسان إلى البهائم هذه ، هذا فيه كمال هذه الشريعة - بفضل الله تعالى - .

و قوله -صلى الله عليه وسلم- : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) ، فيه فوائد عظيمة ، أن المسلم يحرص كل الحرص على أن يأتي بالأوامر الشرعية كما أمر الله - عز وجل - ، وأن يحرص على أن يحسن الأمور وأن لا يُسيء ، وأن يحرص على عدم الأذية لإخوانه المسلمين ، فإذا كان الحيوان لا يؤذى وإنما يذبج بطريقة مريحة وسهلة .

- فكيف بالإنسان ؟

وهذا الحديث فيه ردٌّ على الدواعش الخوارج ، وهذا الحديث أيضاً فيه ردٌّ على الذين يشتغلون على إخوانهم السلفيين بالطعن والجرح والكذب والافتراء على إخوانهم السلفيين ، فكيف لو كانوا طلاب علم وعلماء سلفيين ، يُكذب عليهم ويُفتري عليهم ويُساء إلى سمعتهم ، فلا شك

أن هؤلاء ما امتثلوا هذا الحديث ، ولا امتثلوا الحديث الماضي معنا (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيُكْفِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْنُمْ) (2) .

فالمسلم مُبتلى ، مُبتلى بأمثال هؤلاء ، وأشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ولا شك أنَّ
من سار على نهج النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و الصحابة الكرام لابدَّ وأن يتعرض للأذى وأن
يتعرض لمن يحاول عرقلة دعوته ؛ لذلك علينا -بارك الله فيكم- أن لا نغترَّ بأمثال هؤلاء ،
فإنهم لم يحسنوا ، فإنهم لم يحسنوا .

كيف يكون إحسان بإيصال الإيذاء للمسلم ، فكيف بطالب علمٍ ، فكيف بعالمٍ قد أفاد إخوانه
وطلابه واشتهرت دعوته ، هذا الكلام أنا أقوله كلامًا عامًا - بارك الله فيكم - ، لا أنزله على
أشخاص مُعيَّنين ؛ لأن ليس المقصود ذاك أو ذا ، وإنما المقصود بيان سوء الفعل وقبح الصنيع
بإيصال الإيذاء للمسلم .

إذاً هذا الحديث أيضًا يدخل في أبواب كثيرة ، وهنا قد يعترض معترض ، ولكن قبل أن أذكر هذا
الاعتراض ، ممَّا يؤكد هذا الحديث قوله - عليه الصلاة والسلام - ، أو نهي - عليه الصلاة و
السلام - كما رواه سمرة بن جندب ، أن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان ينهى عن المثلى .

- والمثلى : تعذيب المقتول ، بأن يقطع بعض أعضائه وأن يشوّهه أو نحو ذلك ، لكن هنا
الإشكال الذي أريد أن أوردته قد يقول قائل : أولئك الذين قتلوا راعي النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
وسلموا عينه ، ففعل بهم النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلك ، وجعلهم في الحر والرمضاء
إلى أن ماتوا .

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: 6018] ، وَمُسْلِمٌ [رقم: 47] .

- فهل هذا يدخل في المثلى ؟

- أو هل هذا يدخل في عدم الإحسان في القتل ؟

- الجواب :

لا ، وهنا الجواب لابد أن أُبيّن قاعدة عظيمة حتى تفهموها في كل أحكام الدين .

- ماهي هذه القاعدة ؟؟

إنَّ كل ما أمر الله -عزَّ وجل- به أو نهى عنه من الإحسان ، ما أمر به من الإحسان والعدل والإنصاف والمحبة والأخوة يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي تعطي المعنى عامًّا ، وكذا ما نهى عنه الشرع يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي قد تتجاوز الحد في الأمر المنهي عنه ، فيقع الإنسان في الغلو إمَّا في فعل الواجب وإمَّا في الأمر المحرَّم ، هذه القاعدة لابد أن تفهم ، نطبقها هنا ، فنقول :

من قتل إنسان ؛ بأن مثلاً قطع أطرافه وعذَّبه ؛ فالحكم الشرعي في مثله أن يقتل بذلك إن حكم الحاكم بذلك ، فيكون من باب القصاص ، وأمَّا الحديث هذا الذي معنا في الإحسان ، وحديث النهي عن المثلى ، عن إنسان قتل فيقتل ، ولكن أن يتجاوز القتل إلى أفعالٍ أخرى يُعذَّب بها المقتول ؛ فحينها يستحق أن يُعاقب بمثل ذلك .

مقال آخر : ما جاء في الأحاديث والآيات القرآنية من الأمر بالمحبة والألفة ؛ فبعض الناس يريد

أن يُدخل حتى أهل البدع ، حتى أهل الأهواء ، فيأمر بالألفة معهم ، وبالمحبة لهم ، وهؤلاء إخواننا المسلمين ، فنقول له : يا أخي قف حدِّك ، وانظر إلى الآيات وإلى الأحاديث وإلى فهم الصحابة - رضوان الله عليهم - في هذا الباب ؛ فقد كانوا ينفِّرون من أهل البدع ، ويحدِّرون

منهم ، وينهون عن مجالستهم ، وعن مؤالفتهم ، بل قال الفضيل بن عياض : (آكل مع يهودي أو نصراني ، ولا آكل مع مبتدع) .

- لماذا ؟

- قال أهل العلم :

- لأن اليهودي والنصراني أنا أحذره وأعلم أنه على باطل فلا يستطيع أن يُضِلَّنِي ، ولكن هذا المبتدع هو مُظهرٌ للإسلام ، ومُظهرٌ أنه متمسكٌ بالحق ، وهو على بدعة ، فأنا أغترُّ به ، وقد أقع في حباله ؛ فذلك - بارك الله فيكم - يجب أن نفهم هذه القضية فهماً جيداً ، وبهذا الفهم تستطيعون أن تكشفوا كثير من الحيل والخدع التي يُخادع بها بعض الناس في كلامه ، وأنه يريد الحق ، وأنه يريد الأحاديث والآيات التي في كذا وكذا ، وهي لا تدل على مراده ، فينبغي أن نفهمها على ضوء الآيات والأحاديث وما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم -

- الحديث الذي يليه ؛ الحديث الثامن عشر :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (٥)

هذا الحديث فيه ثلاثة وصايا وأوامر للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لنا جميعاً :

بأن نتقي الله - عزَّ وجل - ، وأن نعمل الحسنة بعد السيئة ، وأن نتعامل مع الناس بخُلُقٍ حسن

- أمَّا الأمر الأول : فهو تقوى الله -عزَّ وجل- - (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) ؛ وهذا الأمر بأمرين

- الأمر الأول : الأمر بالتقوى (اتَّقِ اللَّهَ) .

(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح .

- والأمر الثاني : أن تكون تقواك لله في كل مكان ، في السرِّ والعلن ، في موطنك وخارج موطنك ، أمام أصحابك ، وأمام الذين لا يعرفونك ، بين أهلك وبين الناس ، محل ما تكون تتقي الله - عزَّ وجل - .

- لماذا ؟

- لأن الله يراك حيثما كنت ، ومُطْلَعٌ عليك أينما كنت ، والملكان يسجلان عليك كل ما تعمل ، وكل ما تتلفظ به ، كما سبق معنا ؛ فالله - عزَّ وجل - الذي تعبد في مكة هو - سبحانه وتعالى - الذي تعبد وأنت في أي دولةٍ أخرى ، والله الذي تتظاهر بالتقوى والورع أمام الناس في العلانية هو الله - سبحانه - الذي يراك في الخلوة وفي السر .

- فكيف لا تتقي الله - عزَّ وجل - ؟

ولذلك النَّبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أوصانا جميعاً أن نتقي الله - عزَّ وجل - حيثما كنَّا ، ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أنه ذكر أن أناس من أمته يأتون يوم القيامة بحسَنَاتٍ أمثال الجبال ، يجعلها الله هباءً ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ ، قال : (أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ؛ فألحظ أخي المسلم وانتبه إلى قوله : (إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ، يعني : كانوا يتظاهرون بخلاف ما يبطنون ، كانوا في السرِّ ذئاب ، وفي العلن يُظهرون التقوى ؛ لذلك على المسلم أن يراعي هذه القضية ، وأن يحرص على الإخلاص ، وعلى الاستقامة على الحق ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ ﴾⁽⁴⁾ ؛ يعني : فالزم الطريق الواضح البين في كل أحوالك .

⁽⁴⁾ سورة هود - الآية 112

(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) :

- والتقوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، بأن تفعل الطاعات والواجبات ، وتترك المحرمات والمنهيات ، وأن تستعد ليوم الرحيل .

كما جاء عن بعض السلف وهو طلق بن حبيب حينما ذكر التقوى : (أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

- ماذا نلاحظ في قول طلق ؟

نعيد مرة أخرى : (التقوى : أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

نلاحظ أنك إذا عملت الطاعة تعملها بعلمٍ وبهدى ممّا جاء به النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - ، وإذا تركت المعصية تتركها بعلمٍ وعلى ما نهى عنه النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - ؛ لأن بعض الناس يجعل نفسه أو يظن نفسه تقيًا وهو جاهل ، وهو لا يعرف الأحكام ، فيقع في البدع والضلالات والانحرافات وهذا خطأ .

ولذلك قال سفيان : (من ضل من عبّادنا أشبه النصارى)

- لماذا ؟

- لأن النصارى عبدوا الله على جهالة ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانٍ ﴾ ، يعني : (الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)⁵

ابتدعوا أمور ومع ذلك لم يأتوا بها على الوجه المطلوب ، فبعض العباد حقيقة أمرهم أنهم جهال ، وأمّا قوله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ؛ فإن

العابد فيما كان سابقاً في عهد السلف المراد به : من تعلم من العلم ما يقيم به عبادته ، وليس المراد بالعابد ذاك الذي يصلي ، ويحضر للصلاة ، ويتظاهر بإطالة اللحية ونحو ذلك وهو يجهل دين الله - عز وجل - ، لا هذا جاهل ليس بعابد .

إنما العابد كان يتعلم ما يُحتاج إليه من دين الله في عبادته لله - عز وجل - ، ما عنده علم زيادة في أمور أخرى ولكن لما يعبد الله يعبد على بصيرة في العبادة التي يتفرغ فيها لله - عز وجل - ، في صلاة أو صيام أو نحو ذلك وأذكار نبوية لا أذكار مبتدعة أذكار لم يأت بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأوراد يلتزمها لم يأت بها النبي - ﷺ - .

مرّ معنا حديث عائشة : (**مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**) (6) ، حديث عائشة - رضي الله عنها - أم المؤمنين ، قالت : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) (7) ؛ فلا بد - بارك الله فيكم - أن نلاحظ هذا الأمر .

ولذلك رأس التقوى أن تعلم ما يُتقى فتتقى ، فأصل التقوى ورأسها أن تكون مبنية على العلم ، والتقوى هي وصية الله - عز وجل - للأولين والآخرين ، للأولين والآخرين أوصاهم الله - عز وجل - بالتقوى .

وتقوى الله - عز وجل - أيضاً - بارك الله فيكم - تعني أن المرء يحاسب نفسه على أقواله ، وعلى أفعاله ، وعلى كل شيء ، فيخاف أن يصدر منه سوء ، ويخاف أن يقصّر في الأمر الواجب .

وتقوى الله - عز وجل - أن يكون العبد ورعاً تقياً ، يترك الشبهات ويستبرئ لدينه وعرضه ، و تقوى الله - عز وجل - أيضاً أن يحفظ العبد لسانه من الغيبة والنميمة ومن البهتان والكذب

(6) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2697]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1718].

(7) وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ

على عباد الله وأن يحفظ فرجه ممّا حرمه الله ، وتقوى الله - عزّ وجل - الإحسان إلى الوالدين ، والإحسان إلى إخوانه المسلمين ، وتقوى الله وهذا الأمر الذي ينبغي أن يذكر في البداية تكون بتوحيد الله - عزّ وجل - ، ونبد الشرك وأهله فهذه كلها من تقوى الله .

ثمّ قال - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (**وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا**) ، يعني إذا عملت سيئة فلا تتركها وقتًا طويلاً ، بل احرص على أن تعمل بعد السيئة حسنة ، إمّا بقراءة قرآن ، وإمّا بصدقة ، وإمّا باستغفار ، وإمّا بذكر .

وقد جاء عن النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنه قال : (**ما من عبدٍ يُذنبُ ذنبًا ثمَّ يتوضأ فيحسن الوضوء ثمَّ يصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر الله له**) ، وأيضًا جاء في الحديث عن النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (**أن العبد إذا أذنب فإن الملك صاحب الشمال - عليه السلام - يرفع القلم بضع ساعات**) ، ست ساعات يرفع القلم فإن أحدث توبة في أثناء هذه الست ساعات لم يكتب الذنب ، وإن لم يتب في هذه المدة كتبها سيئة ؛ ولذلك هذا ممّا يؤكد دلالة ذلك الحديث ، أن العبد يحرص على أن يعمل الحسنة بعد السيئة .

وأيضًا جاء في الحديث ما يُبيِّن أهمية إتباع السيئة بالحسنة وذلك أن السيئات لو اجتمعت على القلب قد تجعله فاسدًا ، كما قال - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ الذَّنْبَ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِنْ تَابَ وَأَقْلَعَ صُقِلَتْ وَحُمِيتُ**) ، يعني النكته السوداء هذه ، (**وإنَّ أَذْنَبَ الذَّنْبَ يُنْكِتُ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، وَلَا يَزَالُ يُنْكِتُ فِي قَلْبِهِ - أَيَّ كُلِّ مَا أَذْنَبَ ؛** يعني لم يتب - ، **وَلَا يَزَالُ يُنْكِتُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يُصْبَحَ أَسْوَدَ كَالْكُوزِ مُجْحِيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا**) .

قال الله - عز وجل - : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ⁽⁸⁾ ، أي : غطّي على قلوبهم ما كانوا يعملون ، ولذلك هذه وصية عظيمة كثيرٌ منّا يشتكي من قسوة القلب ، كثير منّا يشتكي من الثقل عن الطاعات ، وعدم الرغبة لسماع القرآن ونحو ذلك ، فنقول لهؤلاء إن أذنبتم فتوبوا إلى الله - عز وجل - ، وإن أذنبتم فاعملوا الحسنة ، وإياكم وتراكم السيئات ، فإنها تغطي القلب ، وتصرفه عن الطاعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) ، لاحظ أن الإتيان يكون الشيء وراء الشيء ، يعني ليس بينهما فاصلٌ كبير ، وأيضاً يُشعر هذا بأن المرء يسارع لفعل الحسنات ، وهذا أمرٌ عظيم - بارك الله فيكم - .

وهذا أمرٌ عظيم - بارك الله فيكم - ينبغي لنا أن نعود أنفسنا على فعله ؛ لأنّ كما جاء في الحديث عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ) ، كما قال العلماء ، قال النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) .

وقال العلماء : (ليس الخطأ أن تقع في المعصية ، وإنما الخطأ أن تستمر عليها ، وأن تصرّ عليها)

ولذلك لو تأملنا هذا الباب في القرآن وفي السنة لوجدنا العجب العجيب ، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ⁽⁹⁾ مهما كثرت ذنوبك ، ومهما كثرت المعاصي ، فتب وارجع إلى الله - عز وجل - واستغفره ، ولا تقنط من روح الله ، ومن رحمة الله ، بل احرص على التوبة والرجوع إلى الله - عز وجل - .

في آيات وأحاديث كثيرة جدا في هذا الباب يطول المقام بذكرها .

ثم قال - صَلَّى الله عليه وسلّم - : (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وهذا كما مرّ معنا في قول النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - ، في الحديث الذي قال فيه - عليه الصلاة والسلام - وهو

⁸ (سورة المطففين - الآية 14)
⁹ (سورة الزمر)

الحديث الذي مر معنا ، وهو قوله -عليه الصلاة والسلام- : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)⁽¹⁰⁾ ، حديث أنس : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، هذا داخل فيه ؛ فإن الخلق الحسن أنت تحب لنفسك أن يعاملها الناس بخلق حسن ، فعامل أنت الناس بالخلق الحسن .

- والخلق الحسن : هو امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وأن تعمل بما تعارف عليه الناس مما لم يأتي في الشرع ما يُبينه ، ما ينهى عنه ، أو ما يوضحه ، فقد يتعارف الناس على بعض الأمور مما يتعاملون به عرفاً ، فلا بد من مراعاة هذا الأمر .

(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ) ؛ يعني : عاشرهم وخالطهم وكن معهم ولا تتكبر عليهم ، ولا ترى نفسك فوقهم ، لا مالاً ولا نسباً ، ولا أي أمرٍ من أمور الدنيا ، بل المسلم مع أخيه المسلم كما قال الله - عز وجل - في سورة الفتح حين قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾⁽¹¹⁾ (٢٩)

وأيضاً قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الْمُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَحَابِّهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - .

وقد جاء ما يدل على عظم أجر الأخلاق الطيبة ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق) ، ويقول - عليه الصلاة والسلام - : (إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

والله - عز وجل - حين أثنى على النبي - صلى الله عليه وسلم - كان من ثنائه عليه قوله :

⁽¹⁰⁾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13] ، وَمُسْلِمٌ [رقم:45].
⁽¹¹⁾ سورة الفتح - الآية 29

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹²⁾ ، فدلّ هذا على أن الأخلاق لها مكانه عظيمة في الإسلام ، ومنزلة مهمة .

وأما حديث **(الدين المعاملة)** فهو حديث لا إسناده له ، موضوعٌ مكذوبٌ على النبي -صلى الله عليه وسلم- ، مكذوبٌ على النبي -صلى الله عليه وسلم- .

والأخلاق كما سبق ، ليس المراد بها الأخلاق المصطنعة ، والأخلاق التي يقضى بها مصالح لبعض الناس ، أو الأخلاق التي يُراد بها الدفاع عن أهل الباطل ، أو الأخلاق التي يُراد بها الطعن على أهل السنة ، كما يفعل بعض الناس ، يأتي بأخلاق هو يراها أنها من الأخلاق ، ثم يعيب على أهل السنة أنهم لم يتخلقوا بها ، لا عيب على أهل السنة في عدم تخلقهم بأخلاق لم تشرع ، أو لا عيب على الإنسان إذا ترك أمراً مستحباً ليس بواجبٍ ، إنّما يُعاب من وقع في البدع وخالف الحق ، وإنّما يُعاب من فعل المحرّم وترك الواجب ، وإنّما يُعاب من أراد بإيراد الأخلاق الطعن في إخوانهم السلفيين ، حتى إنك لتجد الواحد منهم يتعامل مع المخالفين بكل رحمة وأدب واحترام ، فإذا جاء مع إخوانه السلفيين انقلب ، وكشّر عن أنيابه ، وسلقهم بلسان حاد .

- أين الأخلاق ؟

الأخلاق مع المخالفين ، والأخلاق مع المنحرفين ، يُنصح بها ويُنادى بها ، **ووقت التطبيق مع**

أهلها لا تُطبّق !!؟

لا شك أن اعتبار الأخلاق بهذه الصورة مخالف لمنهج السلف ، ولذلك كما قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - قال : (قال بعض أهل العلم : حسن الخلق ، كظم الغيظ لله) .

⁽¹²⁾ سورة النجم - الآية 4

بعض الناس إذا غضب عليك وهو ينادي بالأخلاق ، إذا غضب عليك آذاك في كل مكان ، في كل مناسبة ، ويفضل يعني يلاحقك .

– فأين الأخلاق التي تنادي بها ؟

(كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاق والبشر إلا للمبتدع والفاجر) ، بعض الناس يظهر تكشير أنيابه لإخوانه السلفيين فهذا خطأ ، وأنا كما سبق لا أعني شخصاً بعينه وإنما أذم فعلاً ، وخلقاً ذمياً ، فلا يحمل كلامي –بارك الله فيكم– على شخص بعينه ، لأنه ليس المراد ذلك الشخص ، إنما المراد تلك الفعلية الشنيعة .

ثم قال : (والعفو عن الزَّالِينِ إِلَّا تَأْدِيبًا أَوْ إِقَامَةً حَدِّ وَكَفِّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ مَعَاهِدٍ ، إِلَّا تَغْيِيرَ مَنْكَرٍ ، أَوْ أَخْذًا بِمُظْلَمَةٍ لِمُظْلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ) ، فهذا القول يجمع لنا حسن الخلق فعلياً أن نتدبره وأن نتأمله .

(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ) ، وتأملوا قوله –صلى الله عليه وسلم– : (بِخُلُقٍ حَسَنِ) ، وصفه بالحسن .

– **والحسن** : هو ما كان من شرعه –عليه الصلاة والسلام– ، ومن سنته –ﷺ– .

قال الإمام أحمد : (حسن الخلق ألا تغضب و لا تحتد) ، وقال أيضاً : (حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس) ، تصبر على آذاهم ؛ ولذلك جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : (أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير ممن لا يخالطهم) ، وقال إسحاق بن راهوية في حسن الخلق ، قال : (هو بسط الوجه وأن لا تغضب) .

إذاً هذه وصية مهمّة ونافعة أوصى بها النبي –صلى الله عليه وسلم– أمته ، وفي هذا القدر كفاية

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

